محكم

الإنسان: السلب والإيجاب

مقاربة بين المادة التكوينية

معاذ بني عامر
باحث أردني

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
مؤسسة دراسات وأبحاث

قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

هذه الدراسة تتجاوز إطار الغرضية العلمية القائمة على افتراض فرض ما، ومحاولة استجلاء سيرورته وربطها بمجموعة من السياقات ذات العلاقة، والاكتفاء بالتالي –تبعاً لواقع الحال- بالحيادية العلمية، وكأنّ الجثة الموضوعة في ثلاجة الأموات بانتظار تغسيلها وتكفينها هي جثّة لكائنٍ فضائي لا تسري في أنساغه دماء بني البشر، لذا لا موجب للتعامل معه إلا بمنطق صارم وحيادي وبارد.

إنِّي أقفزُ فوق المعطى العلمي، وأستشرفُ الملمح الإنساني الكامن في طبيعة العلاقة الجدلية بين مكونات الإنسان التأسيسية، وأنحاز بالتالي للخير كقيمةٍ إنسانية نبيلة، كبديلٍ نهائي وأخير عن المذبحة الوجودية بكافة تجلياتها المختلفة.

مقدّمة:

قد تكون الميزة الكبرى للإنسان عبر تاريخه الكلي، هي وضعه سؤالي: "كيف"؟ و"لماذا"؟ موضع تساؤل؛ ففي الوقت الذي اتخذت فيه الكائنات الأخرى مسارات مُحدّدة (كالنمل أو النحل)، بدأ الإنسان –على ضعف إمكاناته- يحتجّ على ما هو عليه، فوضع نصب عينيه كل ما من شأنه أن يكون ذا أهمية بالنسبة إليه في حياته المرئية واللا مرئية، وبدأ بالتمحيص والتدقيق والتبويب. وعبر المسيرة التاريخية، كان الإنسان صاحب السبق –دوماً- في النظر والإمعان في كُلِّ شأنٍ من شؤونِ عالمنا، كَبُرَ هذا الشأن أم صغر.

وعليه، فقد نشأت العلوم والمعارف والفلسفات والأديان على يد هذا الإنسان – وأنا هنا أعني الإنسان على إطلاقه -[1]، وتجلّت عبقرية الإنسان منذ بواكيره بوضعهِ للبدايات، ومن ثمَّ التأسيس عليها عبر عمليات احتجاج لا نهائي؛ فالمادة الخام –وضعية ما هو عليه- لم تكن مَوضعَ رضا بالنسبةِ لهذا الكائن المتمرد، ولم يحدث لهُ أن قَبِلَ قبولاً تاماً بما كانَ عليه، فعلى الدوام سعى إلى التغيير والتبديل، حتى لو كان ما هو عليه أو الوضع القائم بغاية القداسة.

وقد أثمر احتجاج الإنسان لناحية عدم رضاه عما هو عليه، وتطلّعه إلى ما يجب أن يكون إطلاقاً، في تبديل حياته رأسا على عقب، ونقلها من الأبسط إلى الأعقد؛ فالذي صنعَ سكيناً من الحجارة والعظام في مرحلة غابرة لاستخدامها في عدّة مجالات تُفضي إلى خدمته وتلبية احتياجاته، ها هو اليوم يتفنن (في واحدةٍ من تجليات محنته الوجودية هنا والآن) في صناعة أدوات القتل الفردي والجماعي، وذلك لعدم اقتناعه بنهائية ما وصل إليه هنا والآن؛ فقلق الأسئلة التأسيسية وضعه وجهاً لوجه مع تطوّر وجودي دائم ودافق.

ففي داخل هذا الإنسان قوة هائلة على التغيير والتبديل، تتمظهر في قدرته على إحداث التغيير في مجموع العوامل والظروف المحيطة به، بصرف النظر عن مدى إيجابية هذا التغيير أو سلبيته؛ فهو ساعة سعى إلى تطوير وتبديل آلته القتالية من سكّين حجري (أنا هنا أحصر استخدام السكين لغايات القتل، لأغراضٍ محض توضيحية، مع أنَّ لها عدة استخدامات أخرى) إلى قنبلة نووية أو قنبلة بيولوجية قادرة على الذبح الجماعي، لم يكن في الأساس إلا مُمظهراً لقوة الدفع الداخلي بين جنبيه، والمتمثلة للتغيير والتبديل كجزء أساسي من مسيرته الحياتية. وأعتقدُ أنَّ الإنسان كانَ مدفوعاً بأسئلته التأسيسية، وقلقه العظيم ناحية التغيير والتبديل حتى هذه اللحظة، مع منح (هذه اللحظة) صيغة إطلاقية في الانوجاد الزمكاني.

---

[1] تجلّت العبقرية الإبداعية لابن طفيل في قصة (حيي بن يقظان) بعدم حصر بطل قصته بمقننات تحدّ من عالميته؛ فالمواصفات التي أضفاها ابن طفيل على هذا (الحي اليقظان) وليس (الميت الغافل) جعلت منه أنموذجا عالميا ، يصلح لـ "مظهرة" حياة مثلى في أي زمان ومكان، فبنيته التحتية يمكن التأسيس عليها لبناء متماسك، يشكّل معالم إنسان عالمي، نزّاع للخير.

فالعالَم كمادةٍ خام لا يُلائم عقلية الإنسان المتفجّرة وتنامياتها المستمرة؛ فالعمل الدؤوب على نزع غشاوة هذا العالم وفهم محتواه، مُنطلقٌ أساسي بالنسبة للإنسان يشتغل عليها ليلاً ونهارا؛ فمن الكهوف الغائرة في شِعاب الجبال القصية إلى "برج بابل" و"تاج محل"و"مسجد الحمراء" والقصور الفخمة في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن سكّين حجري بدائي إلى نشّاب وقوس وسيف ومنجنيق وبندقية ومدفعية وصاروخ وقنبلة. ومن سير على القدمين إلى ركوب الخيل والبغال والحمير، والسيارات والسفن والطائرات والصاروخ الفضائي. ومن طرائق بدائية لنقل البريد إلى بريد إلكتروني ينقل الرسائل من أدنى الأرض إلى أقصاها بثوانٍ معدودة.

ومن مرحلة أولية في التعامل مع المكان، إذ كان الاعتقاد السائد يُدلّل على أنّ بقعة الأرض التي تأوي إليها القبيلة أو العشيرة هي نهاية الأرض،[2] إلى مرحلة الفتوحات الكونية واكتشاف الفضاء الخارجي. ومن مرحلة الخوف من المحيط الداخلي والخارجي للإنسان إلى مرحلة اجتراح المعجزات.

ومن مرحلة عدم فهم اللامرئي واللامعقول إلى مرحلة مناقشة المُطلَق والسرمدي واللانهائي، عبر طرح مزيد من الرؤى والأفكار والشكوك والفلسفات والتأملات والأديان.

فهذا الكائن المُثير تجرأ تغييراً وتعديلاً وتمحيصاً على كل شيء؛ فليس ثمة شيء لم يطاله (احتمالية هَهُنا، احتمالية مفتوحة على المستقبل وما يحمله من نبوءات اجتراحية إبداعية للكائن الإنساني) تغيير أو تعديل أو تمحيص؛ فالقوالب القديمة تعرضت لما يشبه الحتّ والتعرية. والميزة الأساسية التي صبغت هذه التحولات، هي جنوح الإنسان إلى إضفاء بصمة التغيير والتعديل على كل شيء، فطاقات هذا الكائن توجهت إلى إحداث نقلة نوعية –عبر التاريخ كلّه- في بنية الإنسان والعالَم.

وعبر تطوّر الجنس البشري -منذ بداياته– لم يشهد التاريخ أو شَهِدَ أحد ما بأنَّ الإنسان قد ركن إلى الهدوء والرضوخ والاستسلام، بل دأب على متح كل إمكاناته الداخلية وتجليتها عبر أسئلة قلقة، ليصار إلى بلورتها على أرض الواقع. وما يشهده عالمنا المعاصر من انفجارٍ هائل في كل شيء، لدليلٌ واضح على ثورة الإنسان الأبدية تجاه ذاته وتجاه العالَم الذي يُمسرح عليه "أناهُ" الكُلِّية. فها هي المعارف تتكدس أطنانا في مختلف

[2] قد تكون هذه إحدى نتائج مثل هذه التطوّرات، إذ ساد شعور عام بعدم وجود آخر، مما ترَّتبَ عليه لاحقاً ظهور جُدر نفسية بين بني البشر، كانت سبباً رئيساً في نشوء خلافات لا حصر لها بين الشعوب. وها هي تظهر الآن كإشكالية عالمية ، أوضح من ذي قبل: شرق و غرب، شمال و جنوب، عالم أول وثان وثالث، و ما تبع ذلك من نتائج لما يحدث في عالمنا المعاصر من انقسامات رهيبة، ومذابح مُروّعة في كلّ مكان.

المجالات، حتى لكأن الأرض تضجّ بكثرتها، لكن الجمجمة البشرية من الاتساع بمكان، حيث تتسّع للانهائي عوضاً عن النهائي!

السؤال الذي يطرح نفسه عقب هذه الاستفاضة: إلى أي مدى سار الإنسان على طريق تقدّمه وتطوّره؟ وأين انتهى به المطاف؟

عودٌ على بدء: مقدّمة ثانية

كان لا بدّ للإنسان أن يأخذ على نفسه مسألة الارتقاء بذاته، لناحية أنّ الكائنات الأخرى لن تُحرّك ساكناً تجاهه في هذه المسألة؛ فمسألة انتقاله من الأبسط إلى الأعقد ليست مسألة يؤجل البتّ في شأنها إلى الغد أو بعده، إنها مسألة حياة أو موت بالنسبة للإنسان، فهو إما أن يتقدم ناحية الأمام، وإما أن ينتحر.

وكما يظهر من خلال تحليل لبعض شواهد التاريخ، والتي من الممكن القياس عليها، فإن الإنسان قد سار قدما ناحية خياره الأساسي: خيار التقدّم.

فمجموع ما كان عليه الإنسان سابقا لا يساوي مجموع ما هو عليه الآن، ومجموعهما سويا لن يساوي مجموع ما سيكون عليه لاحقا.

والجدول التالي، يمكن أن يلقي نظرة على ما ذكر آنفا ولو في جزئية بسيطة:

الجدول رقم "1":

قديما	حديثا	لاحقا
بسيط	معقّد	معقّد جدا very complex
مدرسي	متطور	خارق Super
أكثر التصاقا بالأرض	مرحلة الكشوفات العلمية	الفتوحات الكونية الكبرى
انطوائي	منفتح	إنسان عالمي
فطري	علمي	مرحلة السيطرة الكاملة

ومن تحليل مبسّط للجدول السابق، يمكن لنا أن نستخلص عدة أمور يتربع موضوع تطوّر الإنسان على رأسها، فما كان يصلح سابقا للإنسان، لم يعد يلبّي احتياجاته الحالية (وأنا هنا لا أريد أن أفسّر تفسيرا خاطئا ويحمل الكلام على غير ما يراد؛ فكلامي في هذا المضمار يقتصر على أمور بعينها، فعلى سبيل المثال السكين المصنوعة من الحجارة لم تعد تستخدم في يومنا الحالي، مع عدم التفريط في أن فكرة ابتكار السكين- بصرف النظر عن المادة التي صنعت منها السكين- وإخراجها من مجرد فكرة في الذهن إلى شيء على أرض الواقع، هي فكرة عبقرية بامتياز، ولولاها لبقي جانب من الحياة البشرية يعاني من نقص فادح، وقس على ذلك كثيرا من الأمور) وهلم جرّا، مع التأكيد على أهمية البدايات، والتأسيسات المبدئية.

وها هو الإنسان يسير قدما ناحية الأمام، وليس من شيء يمكن أن يقف في وجه تقدّمه؛ فعالمنا يزداد يوما إثر يوم تعقيداً وتركيباً، ويمكن للإنسان أن ينتحر في حال توقّف عن مواكبة ما يستجد، فثمة جديد كل يوم لا ينفكّ يتجدّد تباعا.

وعليه، فثمة رهان مبدئي على عدم بقاء الإنسان على ما هو عليه ابتداء، والمضي قدما في رحلة تقدّمه لاحقا، لناحية عدم الركون لوضعية قائمة والتسليم بها كوضع قطعي ونهائي، والانتقال إلى حالة أكثر تطورا وتقدما، والتي سيصار لاحقا إلى تجاوزها إلى ما هو أكثر تطورا وتقدّما مرة أخرى، وهكذا دواليك، إلى أنْ يصير الوضع بالكامل غير ما كان عليه وما هو كائن وما سيكون عليه بالكامل؛ وهذا التبدّل الكلّي سيكون نقطة حاسمة وعلامة فارقة في تاريخ الإنسان ككائن لديه القدرة على الخلق والإبداع.

فـ (ما كان) لم يعد يلائم طبيعة العقل البشري الذي يزداد تعقدّا وتركيبا؛ فثمة أشياء داخلية في بنية العقل تظهر كل لحظة وتطفو على السطح، ولا تعود تقبل بما هو سابق لأمر استحدث من الداخل، فمثلا لم يعد يقبل الإنسان - قبولا تاما- استخدام طاحونة الرحى في طحن القمح لأغراض صناعة الخبز، لا سيما مع ازدياد أعداد البشر إلى أرقام قياسية؛ فطاحونة الرحى لم تعد تلّبي احتياجات البشر من مادة الطحين، مع ما تحتفظ به هذه الطاحونة من صورة جميلة في الذاكرة الجمعية، إذ ما زالت بعض الأسر الفقيرة تستخدمها وتحتفظ بها كآلة ضرورية لطحن الحبوب لا غنى عنها، لانخفاض تكلفتها التشغيلية، إضافة إلى الاحتفاظ بها من قبل بعض الهيئات الثقافية في المتاحف والبيوت التراثية، فآلت إلى خانة التراثيات والفلكلوريات.

ومع تقدّم الحياة كان لا بدّ للإنسان من أن يجد حلاً، ليس في مجال طحن القمح لوحده فحسب، بل في كل أمر من أمور حياته، حتى لا يتحوّل هو بذاته إلى فلكلور وأرشيف، فعمد إلى تجاوز منظومته القديمة والانتقال بالتالي إلى مرحلة جديدة، عبر كمّ هائل من الملاحظات والتجارب والاستقراءات والاستنباطات والعمل الدؤوب على مرّ العصور، ومن خلال أجيال تعاقبت بحثا وتدقيقا وتمحيصا على مادة هذه الحياة.

لكن المطروح الآن: إلى أي مدى أسهم ما كان وما هو كائن وما سيكون في سعادة الإنسان أو تعاسته؟

هل ثمة عالم حقيقي قد تخلّق، حقّق فيه الإنسان مثله وقيمه كما لو كان في جنّة عدن؟

ثنائية الخير والشرّ

لقد انحرفت وجهة الكائن البشري عن المسار الصحيح واتجهت ناحية الشرّ، ولم يعد الإنسان ذلك الكائن الملائكي الذي يرفل بهنائه في جنات عدن، والمشكل الأساسي في رحلة الخطأ البشري هو الإنسان ذاته؛ فالافتتاحية كانت بآدم، ثمّ جاء قابيل وأسّس لنهج جديد في العلاقة بين الإنسان وعالمه[3]. فكان الإنسان هو المحرّك الأساسي لكل شرٍّ يتذمر منه هو أو يعتبره مضادا للخير.

وقد نشأت الإشكالية من البنية الذهنية للإنسان ذاتها؛ فكانت برمجة الأشياء تتم وفقا لما تُمليه البنية الذهنية للإنسان، فالإنسان هو ذاته من جعل من المقدّس مدنّسا ومن المدنّس مقدّسا؛ فهذا الإنسان على إطلاقه ارتأى مرة أن يرى هذا الشيء خيرا ومقدّسا مرة، ومرة أخرى ارتأى أن يرى ذات الشيء شرا ومدنّسا، فهو ذاته لا ينفكّ يتنقل بين هذا وذاك ، فمرة هذا مقدّس وخير، وذاك مدنّس، وفي كثير من الأحيان يجعل الشيء يحمل سلبه في داخله. فهذا المقدّس قد يصبح مدنّسا بجرة قلم، وذاك المدنّس قد يصبح نقيضه بجرة قلم أيضا؛ فالإنسان هو المُجَدول للأولويات، ولكن الشيء في ذاته ليس "خيرا" أو "شرا" محضا، إنما هو ذو طبيعة "حيادية" ليس له القدرة على أن يصنع الخير أو الشر، بيْد أنّه يجنح ناحية هذا أو ذاك بحسب ما يمليه عليها الإنسان.

فالسكين على سبيل المثال يمكن استخدامها لتقطيع الخضر، ويمكن استخدامها للقتل؛ ففي الحالة الأولى هي أداة ذات استخدام "خيّر"، وفي الحالة الثانية هي أداة استخدمت لاستحداث "شرّ" ما ، حتى في الحالة الثانية ساعة استخدام السكين كأداة قتل، يمكن أن تكون مرة أداة "خير"، ومرة أداة "شر"؛ فمرة يمكن أن تستخدم للدفاع عن النفس، كمواجهة حيوان مفترس أو حتى قيام امرأة بقتل مجرم اقتحم منزلها عنوة، فتصبح أداة "خير"، ومرة يمكن أن تستخدم كأداة لترهيب الناس وتهديدهم في حافلة أو طائرة ما، فتصبح أداة "شر".

---

[3] لقد عمد قابيل إلى إضفاء صفة الشرعية على عمله المتمثّل بقتله لأخيه هابيل؛ فقد تحولت نفسه إلى أداة تبرير وتشريع لما قام به هو. لكن السؤال الجدلي، والذي ما زال يؤرق العقل البشري لغاية الآن هو: هل كان على حق ؟ ليس قابيل فقط، بل كل من صار على شاكلة قابيل؟

إحدى الإشكالات الرئيسة هي جنوح البعض إلى درجة التطرف في التشريع والتبرير والتبويب لأعمالهم ذات الطابع "الشرّاني"، إذ ما زال الجدل قائما، وعلى ما يبدو أنه لن ينتهي؛ ففي نهاية المطاف، كُلٌّ يُغنّي على ليلاه، أو على رأي المثل الشعبي "القرد في عين أمه غزال"، ففعل الشر، هو خير في نظر الفاعل. طبعا القرد يبقى قردا ولو صعد إلى المريخ، لكن هات أقنع العالم بذلك.

وفي النهاية: من الذي يحكم على السكين بأنها أداة "خير" أو أداة "شر"؟ من صاحب الحسم، ليس فقط في قضية السكين، إنما في كل القضايا الأخرى؟ البندقية، الطاقة النووية، أجهزة الحاسوب،السيارة، الأفكار...الخ. من صاحب الكلمة الرئيسة في البتّ في هذه الأشياء، من حيث هي خير أو شر؟

إنه الإنسان، فهو صاحب الكلمة الأساسية والنهائية في هذا الموضوع؛ فكل ما حصل من خير أو شر في هذا العالم هو بسبب الإنسان، فصندوق بندورة انفتح على مصراعيه لأنّ الإنسان كان قد مهدّ له الطريق، فخرجت كل الشرور وطفت على السطح. وفي ذات الوقت (وهذه إحدى المفارقات العنيفة)، بقي الإنسان ذلك الكائن ذو الطبيعة الإنسانية، مع كل ما تحمله هذه المفردة من معان طيبة؛ فالإنسان الذي قتل أخاه الإنسان هو ذاته الذي قام ببناء المستشفيات والمصحّات ودور المسنين، واكتشف العلاج والدواء للتخفيف من معاناة أخيه الإنسان، والإنسان الذي استعبد أخاه الإنسان هو ذاته الذي ينادي بحريته ويدين ما يحيق به من ظلم وتعسف.

وذات الإنسان الذي ينشر في الفضاء الخارجي أقمارا للتجسّس على العباد وانتهاك أبسط حقوقهم، هو ذاته الذي يسخّر الإمكانات الهائلة لاكتشاف العالم الخارجي، لما فيه خير البشرية وحسن سعادتها؛ فالعالم الآن أكثر من ذي قبل تواصلا واندماجا ومعرفة ببعضه البعض، نتيجة لانتشار الفضائيات والإنترنت وتطوّر شبكة الاتصالات والأقمار الصناعية، إلى درجة تحققت معها مقولة "مارشال ماكلوهان" حول (القرية العالمية).

علمياً ثمة شحنات سالبة وموجبة، لا يمكن للذرة أن تؤدي مهامها بدون هذا الخليط من الشحنات، ونظرياً كما عملياً يبقى الطرح البشري للخير والشر مواتيا، حتى تنعدم هذه الرؤية المزدوجة بشكل مطلق.

وعليه، فالخير باقٍ والشر باقٍ أيضا؛ فالبنية الذهنية -على إطلاقها- للكائن البشري، هي التي رسمت معالم الطريق وبنت عليها، وهذه الجدلية ستبقى تتصدر اهتمامات الكائن البشري أنّى وكيفما طرحت، فطالما وجد الكائن البشري هنا والآن، فستبقى مسألة الخير والشر متجذّرة في صميم هذا العالم، هذا خير وهذا شر، أو هذا خير صار شراً ، أو هذا شر صار خيراً، ولن يحدث لأحد أن يأتي ويدّعي أنّ عالمنا صار "خيراً" محضا، أو "شراً" محضا، بل سيبقى الخير والشر متلازمان جنبا إلى جنب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نعم، قد يكون ثمة خير بعض الوقت، يغلب على الشر بعض الوقت، وقد يكون ثمة شر بعض الوقت، يغلب على الخير بعض الوقت، لكن ليس ثمة شر كامل كل الوقت، يطغى على الخير كل الوقت، وليس ثمة خير كامل كل الوقت، يطغى على الشر كل الوقت؛ وأن يستمر وضع ما على طول الزمن والمكان فمحال؛ فاتحادهما سويا وتلازمهما مادة أساسية في البنية الذهنية للإنسان، وفي النهاية الإنسان هو مَنْ يقرّر، فمرة يروم الخير، ومرات يروم الشر. ولربما كان لهذه الجدلية عميق الأثر في بلورة الإمكان البشري القائم على الأسئلة

التأسيسية والقلق الوجودي الدائم، ودفعه باتجاه اجتراح الوجود –يوماً إثر يوم- ومحاولة اكتشاف معالمه، بما يفضي إلى عدم الركون إلى ما هو قائم ولو للحظة واحدة، لأن الركود يعني في واحة من معانيه العميقة الاستسلام والانتحار والإفضاء إلى التفسّخ والعدَم.

ولن يبقى إشكالٌ حول مآلات الإنسان وتجلياته في هذا العالم، وما يمكن أن تفضي إليه من شرور على محكّ التساؤل الوجودي؛ ففي الوقت الذي مارس فيه الإنسان نوعاً من (الإقدام/ الإحجام) بلغة علم النفس تجاه العالَم الخارجي والمكونات الداخلية لذاته، كان لابدّ له من إيجاد مَخارِج وتصريفات لهكذا أزمات.

الضمير: الضبط الداخلي

إلا أنّ هذا – ما ذكر آنفا- ليس بمبرر لانحدار الإنسان وانحطاطه وتمثّله للشر كخيار أساسي في حياته، وسعيه للتبرير الدائم على أساس رسّخه-كأساس- في المنظومة الحياتية له، فمن شأن هذا التبرير أن يقف كـ "عقبةٍ" كأداء في وجه الارتقاء المادي والمعنوي للإنسان كخطوة أولى، وانحداره إلى حالة سفلى كخطوة ثانية؛ فقابيل ساعة قتل هابيل لم يقف مكتوف اليدين، بل عمد إلى البحث عن طريقة مثلى لتكريم جثته، والتي وجدها أخيرا في مواراة هذه الكتلة الهامدة بالتراب، مدفوعا أساسا بطاقته الداخلية (=الضمير) القائمة على رفض "الخطأ"، وعدم الركون إليه وسعيه للانتصار للخير بصفته حالة "رقي" للكائن البشري.

وبالتقادم، ترسّخ مفهوم "إدانة الشر عبر فعل الخير" في اللاوعي الجمعي، وصار يطفو على السطح[4] ، محققاً بذلك نوعا من العدالة المسلوبة.

والإنسان، ورغم معرفته الأصيلة بأن الشر موجود عبره في هذا العالم، إلا أنه يسعى جاهدا إلى إقصاء هذا الشر، بصفته مُضاداً للحالة المثالية البشرية المحكومة بالحق والخير والجمال.

وربّ قائل: ها هو الشر يزداد تعقّداً وانتشاراً عبر الكوكب الأرضي، كحالةٍ غير مسبوقة؛ فعلى طول الوجود البشري هنا والآن لم يتوقف الشر بتاتا، فمنذ أن أطلق أبونا آدم الرصاصة الأولى إيذانا ببدء مرحلة جديدة، أساسها ملازمة الخطأ للكائن البشري، وهو يوغل في تمثّله للشر، وها هو اليوم أشد فظاعة مما كان عليه آنفا.

[4] على الأغلب، و ساعة عرض فيلم يحوي مشاهد قتل، على أحد المجرمين، فإنه سيتعاطف مع الضحية على حساب الجلاد، عبر إدانته للفعل الإجرامي، الذي مارسه الجلاد، ولو على المستوى الداخلي، أقلها.

ليكن، ولكني أتحدث هاهنا عن حالة شبه مثالية، يُشكّل الضمير (= الحكم الداخلي) مدخلا أساسيا إليها؛ فالضمير حالة إنسانية مُعمَّمة على الكائن البشري على إطلاقه، تسعى إلى تخليق حالة "عدم خطأ" عبر الارتقاء بالسلوك البشري مادياً ومعنوياً؛ فالضمير موجود لدى "أ" و"ب" و"ج" و"د" و"هذا" و"ذاك" و"أنا" و"هو" و"نحن" و"هم". إنه جزء أساسي من كل "أنا" وجدت وموجودة وستوجد هنا والآن، فهو فاعل أساسي في الممارسة الحياتية للكائن البشري ماديا ومعنويا، عبر إدانته الأبدية للشر وتجريمه ورفضه رفضا قاطعاً، من خلال سعيه الدائم لتمثّل الخير والحثّ عليه؛ ليس فقط على المستوى الداخلي فحسب، وإنما على المستوى الظاهري، كتجلٍّ لاحق.

إلا أن هذه النظرة المثالية شيء وما يحدث على أرض الواقع شيء آخر.

من الذي يتمثّل الضمير ويأخذه كمُوجِّه له في حياته؟ من الذي يوفّق بين خياره الحياتي وحالته المثالية؟

ثمة فجوة بين الضمير كحالة مثالية وبين ما يحدث على أرض الواقع؛ فالشر قد استفحل في حياة البشر إلى درجة شديدة الفحش، وكما لو كانت "*ماكينة*" الخير البشرية غير قادرة على إيقاف انتشار هذا الوباء؛ فالإنسان يعتدي-بشكل دائم- على الأخضر واليابس. يتناول أخاه الإنسان قتلاً وسلباً ونهباً وتدميراً، والمشكل المعضل عبر الوجود البشري هو أنّ الإنسان لم يستفد من درس التاريخ، فعلى الدوام كان ثمة تكرار لنفس الأخطاء، فقديماً قتل الإنسان أخاه الإنسان؛ الآن وكتأكيدٍ من الإنسان على نفس الخطأ، ها هو يقتل أخاه الإنسان مرة أخرى ولا يتّعظ من خطأ سابق، فهو سائر في خطٍّ مضاد، لناحية الاستفادة من أخطاء الماضي وعدم تكرارها، لإشاعة الحالة الوجودية المثلى هنا والآن.

إلا أنّ إحدى المفارقات الكبرى في حياتنا نحن البشر، هي إدانة الأعمال الشريرة والشنيعة من قبل ضمائرنا، رغم أنه هو من يفتعل هذه الشرور، وقد تكون شخصية "راسكولنكوف" بطل الجريمة والعقاب لدوستويفسكي (سأطبّق فرضي حول هذه الشخصية بعد قليل) من الأمثلة الحيّة على تجذّر الضمير-كقوةٍ أساسية وفاعلة- في دواخلنا نحن البشر؛ فالحالة "الراسكولنكوفية" حالة عالمية بامتياز تمسّ كل كائن بشري – وجد على هذه الأرض- من أساساته، وتؤسّس لحالة مهنية عالية على مستوى الخلق الإنساني، يتمثّل الخير الأسمى كحالة قصوى تتجلّى هنا والآن عبر تجريم الشر وإدانته -كحالة مبدئية-، وتتمثّل "الخير" عبر عملية توليفية بين الضمير كحالة مثالية، وما يجري على أرض الواقع، كحالة قصوى ونهائية.

وهذه المرحلة جدّ عسيرة وصعبة، وقد بذلت الأديان والفلسفات والأفكار والمعارف كلّ ما بوسعها، من أجل تربية الإنسان أولا- و قبل كل شيء- من الداخل.

فمسألة تحفيز دور الرقيب الداخلي لدى الإنسان، وتفعيل دوره في الممارسات العملية، كانت قضية محورية بالنسبة لهذه الأديان والفلسفات والأفكار والمعارف على الدوام. فمن شأن ذلك أن ينشر المفاهيم الكبرى ويفعّل من دورها على الأرض، لما فيه خير الإنسان وسعادته.

القانون: الضبط الخارجي

وكنتيجة لصعوبة تطبيق مثالية "الضمير" على أرض الواقع، لناحية حاجته إلى جهود كبيرة لتربية النفس وترشيدها في التعامل مع كل شيء؛ فقد أتت مرحلة الضبط من الخارج عبر حزمة من القوانين والتشريعات والأنظمة والمواثيق والدساتير والمعاهدات والاتفاقيات، لتنظيم الشأن البشري، عبر نبذ الشر والحثّ على الخير عن طريق حزمة من الروادع الخارجية. فالقانون على إطلاقه مجموعة من القواعد والأنظمة التي تسعى إلى تنظيم وتحكيم سلوك الأفراد والجماعات.

فهي تسعى إلى تنبيه الإنسان -عبر عملية ضبط خارجي- بأشكالٍ مُتعدّدة إلى أنّ ثمة "خطأ" لا ينبغي الاقتراب منه أو ممارسته، وإلا فالتجريم والإدانة في حالة الاقتراف.

ولم يكن لهذا أن ينشأ ويتخلق، لو نجح الإنسان في تفعيل وتحفيز دور الضمير(=الحكم الداخلي) لدى "الأنا" على إطلاقها، بَيْد أنّ ثمة فشل من نوع ما كان قد أنزل الرؤيا الطوباوية من سماواتها، وجعل حلمها يتفتت على صخرة الواقع؛ فحجم الشرور العالمية عبر التاريخ كلّه، والتي نَظَّرَ لها الكائن البشري ذهنياً ومارسها على أرض الواقع، دفعت ذات الإنسان يعيد النظر في مراهنته المبدئية على الضمير(=الحكم الداخلي) كقوةٍ لاجمة لاندفاعاتِ الكائن البشري ناحية الشر، فعمد إلى محاولة الضبط الخارجي عبر التشريعات المختلفة، والتي حاولت ضبط إيقاعات الحياة وترشيد استخدامات الإنسان لإمكاناته على هذه الأرض، في محاولة لرأب الصدع الذي نتج أساسا عن الفشل في تعميم "تجربة" الضبط الداخلي على "الأنا" الكلية.

وقد تفنّن الإنسان في وضع القوانين على اختلافها، والتي يمكن إدراجها في نهاية المطاف، في خانة "حقوق" أو "واجبات" الكائن البشري، في سبيل تأصيل حالة بشرية مثلى؛ فمثلاً تم وضع القانون الجنائي للتعامل مع القضايا الجنائية لمنع وقوعها -كحالة مثلى- أو على الأقل الحدّ منها أو معاقبة من ينتهك قانونها. وكذا الأمر بالنسبة لقانون "السير" فقد شرّعه المشرّع لمنع وقوع حوادث الطرق أو للحدّ منها، أو لمعاقبة من ينتهك قانونها وعرضه على العدالة. وهلم جرّا بالنسبة إلى باقي القوانين، فهي تسعى أساسا إلى خلقِ حالةٍ مثالية لدى الكائن البشري ينعدم فيها الشر تماما؛ فالقانون يتحدث عمّا يجب أن يكون (Should) ولكن ذات القانون (=الضبط الخارجي) والساعي لتحقيق حالة مثالية من العدالة والمسؤولية، ينظّر لما بعد ما يجب، ينظّر لما

يحدث على أرض الواقع، فعملية (المنع) النهائي للشرّ غاية يُرتجى تحقيقها، فهي نظرة مثالية، أما ما بعد "ما يجب" -كحالة مثالية- فهو واقع ضمن دائرة أرض الواقع، فهو يؤسس لحالة (إذا فعلت كذا، فإنك تكون قد ارتكبت مخالفة بحقّ القانون رقم "كذا" من قانون "كذا" لسنة "كذا". وعليه، فأنت تستحق العقوبة المنصوص عليها في القانون المذكور، والمتمثلة بـ "كذا و كذا").

وهذه الحالة التأسيسية لتنظيم العلاقات معمول بها نصاً وروحاً، للعمل على معافاة الجروح الناجمة عن أفعال معينة تنتهك القانون، عبر مجموعة من العقوبات وأساليب الردع. إلا أنّ المطروح الآن من حيث أهميته ومسّه وتراً حساساً في الحياة البشرية: هل تناقصت كمّية الشرور في العالم عقب تشريع القوانين ومن ثمّ تفعيلها؟ وهل ثمة إحجام- كنتيجة- عن فعل الشر؟

مرة أخرى، لم تتناقص كمية الشرور في هذا العالم عقب تشريع القوانين وتفعيلها، حتى الوصايا الكبرى: "لا تقتل" "لا تسرق" "لا تزن" "لا تشهد الزور"...الخ، لم تجد لها طريقا -بشكل مثالي وفاعل- في حياة الإنسان، وكأنّ ثمة عشق بشري للعدم، كحالة مضادة للوجود المثالي المتمثّل للخير كخيار نهائي.

واليوم، ورغم التطوّر الكبير الذي تشهده القوانين على اختلافها، إلا أنّ ثمة تحوّل إلى حالة متطورة من الشرّ والإجرام الدولي؛ فقد صارت الجريمة منظمّة ومتعدية للجنسيات؛ بمعنى أنها أصبحت عالمية، سواء في مجال الإرهاب الدولي أو الجريمة المنظّمة، ولم يفلح القانون (= الضبط الخارجي) في نزع فتيل المأساة التي تستنزف الجهد البشري الخيري، وتضرب به عرض الحائط.

وهذا عائد في أساسه إلى فشل تعميم تجربة الضمير (= الضبط الداخلي) كحالة مبدئية على كل "أنا" وجدت على الإطلاق على هذه الأرض، وإن عزّزت بتعميم تجربة القانون (=الضبط الخارجي)، إذ ليس من المعقول أن أبدأ بوضع لوحات تشكيلية على جدران منزلي قبل أن أبني البيت؛ لابدّ لي من أن أبني البيت أولا، ومن ثمّ أبدأ بالتأسيس عليه كيفما أريد.

الحالة الراسكولنكوفية: نموذج تطبيقي

يكاد يكون النموذج الذي أبدعه الروائي "دوستويفسكي" في (الجريمة و العقاب)، نموذجاً مثالياً لحالة وجود بشري مثالية، يجنح الفرد عبرها – وإن كان قد أخطأ- ناحية الخير كخيارٍ نهائي يُجسِّد عبر منهجيته قدرة الإنسان على تمثّل قوته الضميرية كمحرّك أساسي لنبذ الشر واستبعاده و إدانته وتجريمه واستقباحه، من خلال السعي الدؤوب نحو الخير، وإن كان ثمة ثمن يدفع في سبيل هذا الخير.

فهذا الراسكولنكوف، كان ضميره (قوة الردع الداخلي) حاضراً أبداً، حتى من قبل أن يقدم على قتل تلك العجوز المرابية، ولم يكن تردّده أساسا في قتلها إلا نتيجة لقوة الردع الداخلي لديه، وبعد أن نفّذ جريمته بحقّ هذه العجوز المرابية، وعن غير نية مسبقة بحقّ خادمتها البلهاء المسكينة، تحوّل ضميره إلى علبة ديناميت انفجرت تباعا في داخله، فوقع نهبا لصراعات داخلية شوشّت تفكيره واختلطت عليه حالته النفسية، حتى لازم الفراش إذ لم تتحقق الجدوى ممّا فعله، حتى ما سرقه من تلك العجوز المرابية لم يستفد منه؛ فقوة الردع الداخلي لديه لجمت اندفاعاته الإجرامية التي قادته إلى استحضار الشرّ في وقت ما، فلم يكن-كتمظهرٍ لقوة ضميره- بُدٌّ من أن يسير قدما في مثل هذا التقريع، بل بدأ ضميره بمعاقبته، فهذا الضمير -أساسا- قوة فاعلة بالنسبة لشخصية راسكولنكوف العالمية؛ فمنذ البداية كانت هذه القوة بمثابة خطّ دفاعي ذاتي لدى راسكولنكوف تعمل على تنظيفه من الداخل، ليصار بالنتيجة إلى ترشيد سلوكه "اللاسوي".

وكادت هذه القوة أن تمنع راسكولنكوف، ابتداءً، من ارتكاب جرمه، إلا أنّ "دوستويفسكي" كان من أكثر الأشخاص فهماً للنموذج الإلهي بالنسبة للحالة البشرية، فارتأى أن يسير قُدماً بهذا الراسكولنكوف في تنفيذ خطة حياته، فوضعه في ظروف قاسية كانت بالنسبة إليه حافزاً للإعداد لجريمته رغم ما يتمتّع به أصلا من ثقافة عالية، حتى أنه كان يمارس مهنة الكتابة، إلا أنّ ثمة قوة كانت سبباً لقلقه وحيرته وعدم اتزانه قبل اقترافه لجريمته، إلا أنّ "دوستويفسكي" سار به قدما ناحية جريمته، فقتل تلك العجوز المرابية، والمفارقة أنه، وعقب قتلها، لم يجد ما كان يصبو إليه من مال ومجوهرات، وما زاد الطين بلّة هو إقدام راسكولنكوف على قتل تلك الخادمة البلهاء المسكينة، عن غير نية أو إصرار مُبيّت نتيجة لعودتها إلى بيت العجوز في الزمن الخطأ، وعلى غير ما كان يتوقع.

كل هذا ضاعف من قدرة ضمير راسكولنكوف على وضع الأمور في نصابها؛ فضاعف من إدانته وتجريمه للفعل الذي اقترفه من قتل وسرقة، وهذا بدوره فعّل العقاب الداخلي، فوقع نهبا لتساؤلات عدّة كادت أن تذهب بعقله وتودي به إلى الجنون، فأصابته حالة انفصام. وعلى المستوى النفسي، أصابته حالة ندم شديد إلى درجة انعكاس ذلك على حالته الجسدية، فوقع طريح الفراش جرَّاء حمّى شديدة ألمت به، فأوهنت قواه وأضرّت بصحته إلى درجة الاعتلال، مما دفعه إلى ترك دراسته الجامعية مع أنه كان من المتفوقين في تخصّصه الأكاديمي. وعلى المستوى الاجتماعي تضررت علاقاته إلى أن كادت تصل إلى حدّ القطيعة، حتى مع أقرب محبيه، أمه وأخته.

وقد تكالبت عليه جميع هذه الظروف مجتمعة، مدفوعة-أساسا- بتحفيز ذاتي من راسكولنكوف، لا سيما من قوته الضميرية. فهذا الراسكولنكوف بدأ يدين نفسه بنفسه على ما جنت يداه من أعمال إجرامية، ويضعها

موضع تساؤل دائم حول انتهاكها لناموس الحياة؛ فضميره لعب الدور الأساسي في بنيته التكوينية، مما انعكس إيجابا –لاحقاً- على سلوكه الحياتي، إذ اشتغلت مادة هذا الضمير وتفاعلت –كحالة مبدئية وأبدية- في ذهنية راسكولنكوف، حتى تحولّت هذه المادة إلى شرطي داخلي مدفوع ذاتياً كمحصلةٍ لثقافة وتربية معينة، مما انعكس ذلك بشكل إيجابي على سلوكه الحياتي، عبر إقصاء الشر واستقدام الخير.

وقد تجلّى هذا الطرح في شخصية راسكولنكوف وإن كان قد أخطأ؛ فعبر خطئه كان "دوستويفسكي" يسعى إلى إخراج نموذج بشري مثالي – موجود أزلاً- من حالة عدم الوضوح إلى حالة الوضوح، ومن حالة الركود إلى حالة الفاعلية، وهو بهذا يقترب من طروحات كبرى تُؤكِّد ملازمة "الخطأ" لبني البشر، بيد أنّ "خير الخطّائين التوّابون"، والتوبة عادة تأتي "ذاتيا" عبر عملية إدانة داخلية، وليس عبر شرطي وبندقية. وهذا ما تمثّلته الحالة الراسكولنكوفية في أقصى حالاتها، فإدانة راسكولنكوف لنفسه أتتْ داخليا عبر ضميره، حتى قبل أن يشرع أيّ محقّق في التحقيق معه والوقوف منه على ملابسات القضية، فكل الإدانة الداخلية والتجريم الذاتي الذي مارسه راسكولنكوف بحقّ نفسه جعله يعترف بكامل جرمه لدى القضاء، ويتقبل العقوبة التي فرضتها عليه المحكمة.

وبهذا يكون راسكولنكوف قد مارس دوره كشخصية عالمية، متمثّلة أساسا للخير ونابذة للشر، يمكن أن تنعكس مبادئها على كل شخص موجود على هذه الأرض، يراد عبره ممارسة الحياة كما لو كانت حياة كائنات بشرية عاقلة وترتقي ناحية العلى، وتقصي بنفسها عن مدارج الهاوية، عبر استبعاد الشرّ واستقدام الخير، كخيارٍ مبدئي وفاعل في الحياة البشرية للمساهمة في رقي الكائن البشري ناحية الأفضل، وتحقيق الاستفادة القصوى من مخرجات هذا الكائن مادياً ومعنوياً، عبر تفعيل ما هو إيجابي وتعطيل ما هو سلبي.

التحكّم الذاتي وإنجازات الكائن البشري (المدخلات والمخرجات)

لقد انتابت "قابيل" حالة من الذعر الشديد عقب مقتله لأخيه "هابيل" وندم على ذلك، وحاول أن يجد حلا لجثة أخيه، الشاهد الحي على أنه مدان، والمذكّر إياه بأنه قد ارتكب شراً مُنافٍ لحالة مبدئية عنده.

ويذكر أن أحد علماء الذرة، قد ذهب إلى دورة المياه وتقيأ ما بداخله، عقب رؤيته للتفجيرين الرهيبين في كل من هيروشيما وناغازاكي، وكأنّ ثمة توجّه إلى إصباغ هالة من الرحمة على موضوع القتل، سواء أكان هذا القتل قتلا فرديا أو جماعيا، أو بمعنى آخر وكأن ثمة حاجة بشرية رئيسة إلى الإسقاط النفسي لتبرئة الساحة الداخلية، أو على الأقل الاقتناع –بصرف النظر عن وجهات النظر الأخرى- بأن الساحة الداخلية بريئة ونظيفة مما شابَ التمظهرات الخارجية من عنف دام.

ويبقى السؤال عن كيفية المقاربة بين المادة التكوينية للكائن البشري –مع كل ما يكتنف هذا الكائن من حيرة وتناقض حيال هذا الموضوع- سؤالا أساسياً يمكننا تناوله من خلال طرحنا لسؤالي: (كيف) و(لماذا)؟

فمن جانب، ما زال الإنسان يجيب عن سؤال (كيف)؟ لغاية الآن؛ فثمة معرفة متراكمة عمودية بهذا الخصوص، حاول الإنسان عبر تراكماتها أن يختار أفضل السبل لعيشه على هذه الأرض، ففي فترة سابقةٍ - كمثال على ما هو مطروح – كان الإنسان يستخدم وسائل بدائية في نقل الرسائل، مثل الحمام الزاجل أو المناداة عبر أشخاص أو عبر نقل الرسالة من مكان إلى مكان عن طريق فرسان يستخدمون وسيطة الحصان في نقل تلك الرسائل، ثم تطوّرت المسألة وأصبحت تنقل بواسطة السفن، ثمّ بواسطة القطارات عقب صناعة السكك الحديدية ثم بالسيارة ثمّ بالطائرة، والآن تنقل الرسائل بواسطة الفاكس أو البريد الإلكتروني، حيث تطويع عاملي الزمن والمكان إلى درجة عالية.

فثمة معرفة تراكمية عمودية- انبنت لبنة فوق لبنة- كانت بمثابة تمظهر لقدرة الإنسان على الابتكار والإبداع في شتى مجالات الحياة، إلى درجة اجتراح المعجزات.

إلا أن مربط الفرس يكمن في مرحلة "ما بعد" هذه المخرجات، لناحية كيفية استخدام هذه المخرجات، والتعامل معها؛ فالرسائل مثلا يمكن أن يحمّلها الإنسان مضمونا نبيلا وساميا وخيّراً عبر الدعوة -على سبيل المثال- إلى تحقيق مشروع إنساني كبناء مشفى في الكاميرون أو جمعية خيرية في هندوراس، أو التبرع لضحايا زلزال في تايلاند أو للناجين من الفيضانات في بنغلادش، أو الدعوة للتظاهر ضد مظاهر الاعتداء على طبقة الأوزون، أو حمل هذه الرسالة لمخطوط كتاب مفيد إلى دار نشر. كذا يمكن أن تحمل هذه الرسائل مضمونا عدوانيا، يستهزئ بالإنسان كقيمة في حدّ ذاته، كحمل رسالة لطرد متفجرات يراد به إهلاك فلان من الناس، أو عبر تضمينها نصا مكتوبا يحمل تهديدا بالقتل أو الإساءة المعنوية لشخص فلان ما من الناس، عبر النيل من كرامته وشخصيته واستهدافها بكلام نابٍ غير مسؤول، كما يمكن لهذه الرسائل أن تحمل طرودا بيولوجية قادرة على القتل السريع، كما حصل قبل عدة أعوام ساعة انتشرت تقليعة "الجمرة الخبيثة".

وعلى العموم، ثمة إنسان في زمن ما، في مكان ما، يقرّر كيفية استخدام هذه الأداة أو غيرها بهذا الشكل أو ذاك. وعليه، فالأمر عائد إلى الإنسان ذاته، فهو الذي "يختار" بين عدة خيارات ليفضي به خياره إلى انتزاع اعتراف ضمني بأولياته.

إذ ما الذي يحدّد كيفية اختيار الإنسان لـ "هذا" أو "ذاك"؟ هل ثمة رهان مبدئي على عبثية الإنسان وسلبيته تجاه وجوده، من حيث استسلامه لخيار أزلي؟

وهل كان هذا السيف هو السبب الرئيس والكافي لشعور "قابيل" بالندم على قتله لأخيه "هابيل"؟ وهل كان هذا السيف هو سبب ألم راسكولنكوف ووقوعه فريسة لمخرجات فعله الإجرامي؟

يمكن للإنسان أن يرتكب مجزرة بشرية جماعية، عبر تفجيره لقنبلة نووية في زمن ما، ومكان ما، ويمكن لهذا الإنسان أن يستخدم الطاقة النووية في عمليات التنمية المستدامة. ولكن السؤال ذو الشأن هاهنا هو: ماذا بعد؟

لناحية إقدام الإنسان على فعل "الخير" أو "الشر"، يتأتى في واحدة من تجلياته في كيفية الإجابة على "لماذا" المطلقة؛ فعبر "لماذا" يتأتى تحديد الأولويات، فهي أساسا تسعى إلى إخراج نموذج إنساني مثالي- من خلال الأديان والمعارف الكبرى مثلا- عبر تربية الإنسان وتنشئته أساسا من الداخل، على اعتبار أن هذه النواة الداخلية الصالحة، هي التي تحدّد نوع المخرجات الخارجية، فهذه البذرة الصالحة تأخذ بالتمدّد الأفقي، ومن ثمّ تأتي نتائج هذه البذرة لتبني عموديا، ويكتمل النموذج الإنساني.

إذن، إحدى التجليات الكبرى لـ "لماذا" المطلقة على هذه الأرض، هو الضمير (قوة الضبط الداخلي)، وإحدى تجليات "كيف" هو قدرة الكائن البشري على الاختيار بين "الشر" و"الخير"، والفضيلة الكبرى هي تحقيق الوفاق الأمثل بين "لماذا" و"كيف" على هذه الأرض، عبر اندماج "الضمير" بـ "الخير"، ضمن عملية توليفية، يمارسها الإنسان – عبر دمجه بين النظرية والتطبيق- على الأرض، للتحايل على المأساة البشرية والانعتاق من ربقة التيه، والتأسيس بالتالي لوضع إنساني مثالي تتحقّق من خلاله القيم والمثل في صور بهية.

ولا جدوى من الرضوخ إلى العطاء البشري بشأن عمليات الضبط الخارجي عبر القوانين والتشريعات؛ فكل القوانين- على وجه الأرض– دون تفعيل لميكانيزم "الضمير"، هي مجرد تسلية مرحلية، وتضيعة للجهد البشري الراقي، وغير ذي جدوى على المستوى الإنساني الشامل، بل لابدّ من التوفيق بين المدخلات والمخرجات، من قبل الإنسان ذاته، فعلى عاتقه تقع مهمة الارتقاء بنفسه إلى مراحل أعلى وأرقى.

وحيال ما يجري في عالمنا المعاصر من تصعيد خطير للشر، وانتشاره بشكل لا سابق له، عبر تمظهراته الأكثر منهجية واحترافية، من نوايا سيئة وتبييت نية الإضرار بالآخرين، وحفلات القتل الجماعي، والجريمة المنظّمة، والإرهاب الدولي، وانحطاط للقيم، والتشجيع بطريقة و/أو بأخرى، سرا و/أو علنا على هذا الانحطاط، وتخلّف الإنسان كقيمة والتعامل مع هذه القيمة كأولوية متأخرة في الأجندة البشرية، وما إلى ذلك من تمظهرات صبغت عالمنا المعاصر من أقصاه إلى أقصاه بمظهر الشر ، قاطعة الطريق على "الخير"، وكأنه غدا مجرد إرث فلكلوري في الجمجمة البشرية.

إذن، وحيال ما يجري، ومع ما سيصل إليه الإنسان من إحكام سيطرته على عالمه الذي يعيش فيه، مع كل ما يتبع ذلك من نتائج، سلبية كانت هذه النتائج أم إيجابية، صارت مسألة فعل "الخير عبر إقصاء الشر" هنا والآن، مسألة ملحّة أكثر من أي وقت مضى؛ فعلى عاتق الإنسان تقع مهمة عظيمة الآن، لناحية اختياره "للخير" عبر إقصائه للشر، وتفعيله للذهنية والأفعال ذات الطابع الخيري، كبديل لعدم انتحاره الوجودي وانحيازه لخيار العدم بالمحصلة.

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com